



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : ANS - SAHAR
Date : 11 - 1 - 96
Photo No. : 215

الرجل الذي طالما احب ان يحبوه...

"اي شخص في فرنسا هو ديغولي، او سبق له ان كان ديغوليا او سيصير يوما ديغوليا". يعرف كل من تتبّع التاريخ الفرنسي الحديث كم كانت صائبة تلك المقولة الشهيرة المنسوبة الى الجنرال ديغول نفسه. فهل قال الشيء ذاته في ميتران والميتراندية في لحظة المقارنة الكبرى؟ ان شاعر الخشوع التي عمت فرنسا بعد رحيل فرنسوا ميتران الهادئ تدفع في الرد ايجابيا: فالرجل الذي قاد فرنسا خلال اربعة عشر عاما يرجل وسط احترام واعجاب مواطنيه، بل معاصريه، حتى بدت فرنسا كلها ميتراندية اليوم. طبعاً، هناك وقع الحدث ورهبة الموت اللذان من شأنهما تجميد تناقضات ولجم الانتقادات التي قد توجه الى الشخص وسياسته وارثه. لكن رهبة الموت ليست بالتأكيد السبب الوحيد وراء هذا الاحتضان الشعبي والرسمي لنكري رجل لم يتوقف يوما عن اثاره الانفعالات. ثمة شيء آخر، لعله لا يتصل بالسياسة. انه هذا الشيء الذي ألمح اليه ميتران قبل اغوام، قبل ان يصبح رئيسا، عندما قال، في الكتاب - المقابلة مع الصحافي غي كليس "هنا والآن": "انا جزء من منظر فرنسا".

فلا شك ان الفرنسيين، عندما يودعون من كان الفرنسي الأول، يودعون به الفرنسي الأكثر ترميزا الى تراث مفعم الثراء: تراث فيه الانقراض في زاب الريف كما عشق بناء المدن، فيه الحس الشعبي الفلاحي كما فذلكة مثقفين، فيه حميمية المدن الصغيرة والقرى كما الانفتاح على ثقافات العالم، فيه تواضع الجمهورية كما أبهة الملكية... انه رجل "فرنسا العميقة" رجل فرنسا ام الدنيا في أن واحد.

بهذا المعنى، نعم، فرنسا اليوم كلها ميتراندية، بمقدار ما كان ميتران رئيساً كلياً، بانتمائه وتناقضاته، بل بقدرته على صهر التناقضات في سده.

بهذا المعنى، يودع الفرنسيون شيئاً من انفسهم.
بهذا المعنى، فقط، يجوز القول ان "اي شخص في فرنسا هو ميتراندي،
سبق له ان كان ميتراندياً او سيصير يوماً ميتراندياً". انه انتماء رمزي
تورة الذات العادية، حتى في تجلياتها، كما جسدها من اعتبر نفسه "جزءاً
من منظر فرنسا"، وليس انتماء سياسياً الى صورة الذات الخارقة كما
شدها ديفول في نزعتة الى اعتبار نفسه رمز فرنسا كلها.
انتماء رمزي، اذا، لا انتماء سياسي. فمع ميتران لم يكن الانتماء السياسي
هنا في يوم من الايام. والاهم من ذلك انه لم يكن انتماء خالصاً من
تحفظ في يوم من الايام، ما خلا قلة قليلة من الاصدقاء.
القليل الكثير، منذ يومين، وسيقال اكثر عن تناقضات ميتران. لكن الاهم
ان تناقضاته الشخصية كان ربما قدرته على اثارة المشاعر المتناقضة في
س من ينظر اليه، بل قدرته على وضع الناظر في حال سكيروفرينيا:
يساري كان حكماً يتعاطف معه، ولكن من دون ان يتخلى عن تحفظاته
له رجل غير واضح اليسارية، فيما اليميني كان ينفر منه، ولكن من دون
يخفي اعجاباً به. ربما كان مرد ذلك ان ميتران، بخلاف النمط السائد في
المكان وكل زمان، بدأ يمينياً وانتهى يسارياً (مع كل التحفظات على
ماريته المعلنة).

ليس ادل على هذه القدرة على اثارة السكيروفرينيا اكثر من نظرة العرب
لميتران، على اختلاف مشاربهم. فاليساريون فيهم لم يتمكنوا من لجم
خهم يوم انتخاب رئيساً على رغم علمهم بما يربطه باسرائيل. اما
اليمينيون الذين اشمزت نفوسهم، في ايار (١٩٨١)، من المحيط الى الخليج،
انتصار هذا "اليساري" على صديقهم جيسكار ديستان، فسرعان ما
كثروا فيه محاوراً قادراً على طمأننتهم اكثر مما فعل اي يميني، وان ظلوا
ياخذهم العقيدي منه.

لما كان التناقض الكبير في شخصيته هنا، في هذه القدرة (الاضطرابية)
الاستتارة نظرات متناقضة فيما كان الرجل لا يهوى، بينه وبين نفسه، الا
كتاب المطلق.

لا أحب ان أحب بالقدر القليل، اعترف ميتران مرة في كتابه "هنا
ان". لكن قدره كان ألا يحب كثيراً الا في لحظة الرحيل.

سمير قصير